

**الدلالة الإيحائية للفاصلة
في سورة الشمس**

**The Suggestive Connotations of the Comma in
Surat Al-Shams**

أ. م. د. حيدر هادي أحمد
جامعة المستنصرية - كلية التربية
قسم علوم القرآن

Dr. Hayder Hadi Ahmed
Al-Mustansiriya University-
College of Education- Department of Quran Sciences

المستخلص

قامت هذه الدراسة على كشف الدلالات الإيحائية للفاصلة القرآنية الموحدة في سورة الشمس، وهي تعزز وشائج محوري السورة : مشاهد الكون ، والنفس البشرية على الوجه الآتي :

- في محور مشاهد الكون : اقترن الفاصلة بالقسم الذي توزع على الألفاظ المتقابلة (الشمس والقمر، النهار والليل، السماء والأرض) ليُعمل المتلقى فكره في بديع انقيادها مسخرة له.

- في محور النفس البشرية : امتدت الفاصلة بالنسق نفسه برفقة القسم ليحتضن الألفاظ المتقابلة (الفجور والتقوى، الفلاح والخيبة، الترکية والانغماس في المعاصي) ليحلقها قصة موجزة لجزاء الطغيان والتعدي على حدود الله تعالى ، ولتوافق الفاصلة مع هذه العناصر الاسلوبية في إبراز الوحدة الفنية للسورة برفقة التنغيم الموسيقي ، الذي عمل على الانسجام الدلالي بين عوالم المحورين .

The Summary:

This study was based on revealing the suggestive connotations of the unified Qur'anic comma in Surat Al-Shams, and it reinforces the bonds between the two axes of the surah : i.e. scenes of the universe and the human soul as follows:

Regarding the scenes of the universe, the comma is associated with the oath that is distributed to the opposite words (sun and moon, day and night, heaven and earth) so that The Almighty Allah reveals the wonderful submissiveness of it to Him.

In the axis of the human soul, the comma extended in the same format accompanied by the oath to embrace the opposite words (debauchery and godline piety , success and disappointment , purity and indulgence in sins) to be followed by a brief story of the punishment of tyranny and transgression against the limits of God Almighty, and to match the comma with these stylistic elements in highlighting the artistic unity of the surah accompanied by Musical intonation, which worked on the semantic harmony between the worlds of the two axes.

المقدمة

توزعت سورة الشمس بين محورين : الأول : مشاهد الكون ، والظواهر الناتجة عنه ، أثراها وعجب تدبيرها.

الآخر : النفس البشرية ، خيرها وشرها ، إقبالها وإدبارها ، وبيان درجة الطغيان حين تتعدي حدودها.

تلك المقابلة الخفية بين عوالم الكون وبين النفس البشرية ، وما يكتنفه كل محور من هذين المحورين من ظهور وخفاء ، وآثار وانطباع ، تتجاوب له الأنفس وتلهمها يقظة من غفلتها ، وأملاً بشبوت إيمانها.

وما يعزز الوشائج بين هذين المحورين ؛ هو تشابه الفاصلة القرآنية التي مزجت بإيحاءاتها الصوتية بين المتغيرات الكونية وثبوتها ، وبين ما يطرأ على النفس البشرية من درجات الانقياد لله تعالى أو الانفلات نحو الضياء ، شأنها شأن ما ينفلت من قيد النظام الكوني - الذي يحكم هذه الأجرام بدقة متناهية - نحو العدم والفناء.

حققت الدلالة الإيحائية للفاصلة في سورة الشمس التماسك بين هذين المحورين ، إذ تحفز المتلقي نحو التزود منهما لما توافرا من تحقق وحدة عضوية للنسيج النصي الذي حبكت به السورة والإحالات المعنوية فيها^(١).

فالفاصلة لغة : هي الحاجر بين شيئين ، وملتقى عظمين من الجسد يسمى مفصلاً^(٢). وتعرف الفاصلة القرآنية أنها : «حروف متراكمة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعنى»^(٣).

إذ تكتنف بين جنباتها ما يوحى إلى المعاني التي نسجت بسببيها ، فضلاً عن دور الإيقاع المتولد من هذه المقاطع المتراكمة في الإحالات إلى هذه المعاني.

«والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يشير فيما انتابها عجيبة ؛ وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لت تكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى ، والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات بعضها...»^(٤). إذ تحمل الفاصلة «شحتنين في آن واحد ، شحنة من الواقع الموسيقي ، وشحنة من المعنى المتمم للأية»^(٥).

فلقد توحدت الفاصلة في سورة كلها ، واتجهت إلى الوقوف على السكون لختامها بضمير

المؤنثة الغائبة (ها)، وبحسب تسمية الرمانى فالفاصلة متجانسة^(٦)، وسماها آخرون: متماثلة^(٧)؛ وذلك لتماثل حروف الفاصلة، وهي هنا (ها) في سورة الشمس.

المحور الأول : مشاهد الكون :

وردت الآيات القرآنية المعنية بوصف الظواهر الكونية وهي تحتضن الألفاظ المتقابلة المؤكدة سنن الحياة التي أودعها الله عز وجل في عجيب خلقه فسخرها لتجري في مصلحة البشر وهذا ما يعزز إيمانهم ويقينهم بعدل الله تعالى^(٨). فقد تعاون معها القسم، ويبدو أنه توزع بين المحورين (مظاهر الكون، والنفس البشرية) ؛ ففي المحور الأول توزعت الأقسام بسميات علوية عن البشر (الشمس وضحاها ،والقمر، والنهر والليل ،والسماء والأرض) ليثير فيه الرهبة والدهشة والإجلال والعظمة لبارئها، هذا فضلا عن التقابل فيما بينها، ليعمل ذهنه بالتحليل والاستنتاج ،فيما ينتقل به القسم إلى النفس البشرية في المحور الآخر كونها القريبة منه، ليعمل ذهنه أيضا بروية وتفكير في الأبعاد النفسية وصراع رغباتها وقواها وأثر ذلك في السلوك المجتمعي^(٩). ويتلمس حقائقها وأثرها، وعظم مكونها ومسخرها، لـ «إيقاظ القلب لينطلق إلى هذا الكون، يطلب عنه التجاوب والإيحاء. ويتلقى عنه - بلغة السر المتبادل - ما ينطق به من دلائل وما بيشه من مناجاة»^(١٠).

فقد أحالت الفاصلة في الآية الأولى **﴿والشمس وضحاها﴾** الضمير في الاسم (ضحي) إلى الشمس عطفا على القسم، فهو قسم ثان - إذ لا ضير في إعادة لأهمية المذكور بعده^(١١) - لتحليل الضحي إلى أصل نوره وهي الشمس وما يتفرع منها ناشئا عنها، لانتفاع البشر به أكثر مما لو كانت الشمس في أوجها مستعرة لاهبة.

وفي قوله تعالى **﴿والقمر إذا تلها﴾** تلحق الفاصلة الفعل الماضي لتعطي القمر فاعلية الظهور بعد أفال الشمس الذي نوره منها، أو يلحقها بعد ارتفاعها، فإن كان لفظ (القمر) هو هذا الجرم التابع للأرض بلفظه الحقيقى^(١٢) ؛ فإن الفاصلة (تلها) تمنح القمر سمة مجازية باختيار حركته حول الأرض من طلوع وأفال وتسخير في خسوف وكسوف، أو لنقل أن هذا التعبير جاء ليحاكي وجهة نظر البشر بمالحظتهم إياه من الأرض، لا أن الأرض والقمر محكومان بقوة جاذبية الشمس ومركزيتها على توابعها الداخلين في نظامها، فانتقل الفهم من المسير إلى المخbir بلفظ (تلها).

وكذا نلحظ سمة المجاز في فاصلة قوله تعالى **﴿والنهار إذا جلها﴾** وفي ذلك يقول السيد محمد الصدر «النهار لا يجعل الشمس، فكيف صح ذلك؟ فإعادة الضمير إلى الشمس كما هو المشهور والأظهر لفظا لا يصح، وإعادته إلى غيره يكون بدون مرجح مذكور في العبارة، كالظلمة

والدنيا والأرض.

ويمكن الجواب عنه من وجوه :

منها : إن هذا من القلب كأندخلت الخاتم في إصبعي ، وهو استعمال صحيح في اللغة وإن كان نادرا ، أو القلب المعلول علة بالاعتبار والتنزيل ، أو الإشارة إلى مطلق الملازمة بين العلة والمعلول . والمراد أن الشمس تجلي النهار .

ومنها : أن الملازمة صحيحة إذا كان المراد قرص الشمس ، فإن هناك علية عرفية للنهار بإظهار قرص الشمس . نعم ، لو أريد منه ضوء الشمس فهو النهار بعينه ، وهو سبب النهار ، فلا يكون صادقا .

ومنها : إن اللفظ الذي يرجع إليه الضمير لا يجب أن يكون مذكرا في العبارة دائما ، بل قد يكون محدوفا لوضوحيه ، كصاحبة تريد بها السماء أو الدنيا ، فكذلك الحال هنا .

أقول : إن رجوع ضمير الفاعل إلى الله سبحانه وإن كان واقعيا ، إلا أنه لا ينسجم لفظا ؛ لأنه يستلزم إعادة ضمير المفعول المؤنث إلى النهار المذكر ، وهو غلط أو خلاف الظاهر . وأسوأ منه احتمال أن المراد القسم بالنهر ، وأجلى الشمس أي : أظهرها .

نعم ، الضمير المؤنث المفعول فيه احتمالات كثيرة ، كالشمس والظلمة والدنيا والسماء والأرض وال الموجودات - يعني : المادية أو الدنيوية - . وإذا فهمنا الجانب المعنوي كان المراد الجهة أو الذنب أو النفس الأمارة أو غير ذلك ^(١٣) . وبيدو من هذا النص السعة الدلالية التي منحتها الفاصلة في (جلالها) ، وكذلك تبدو طاعة الأفلاك في هذا النظام الشمسي وما يصدر عنها من ظواهر ثابتة ومنتظمة ، لذا جاء الضمير المؤنث الغائب ملتحما بالفعل الماضي ليبين هذا الثبوت في هذه المشيئة الإلهية .

ويتابع النسق القرآني في توالي الظواهر الكونية ، إلا أن الفاصلة في قوله تعالى ﴿ والليل إذا يغشها ﴾ اتصلت بالفعل المضارع (يغشى) لدلالة الاستمرار والتجدد ^(١٤) ، ليجعلها صورة متحركة دائبة في استمرار هذا الغشيان وتكرره ، وقد تكون هذه السعة التي منحتها الفاصلة للغشيان ذلك أن الظلمة أصل في الفضاء ، وأن هذا الضياء ناتج عن انعكاس الطيف الشمسي لما تنفرد به الأرض من خلاف جوى يساعد على تكثيف أشعة الشمس بنوعية خاصة عندما تتجه الأرض بنا نحوها ، ولكن ما أن تدور بنا عنها حتى نواجه ظلام الكون بأبعاده المتراصة ، لذا جاء التعبير هنا بصيغة الفعل المضارع لا الماضي ؛ لإضفاء هذه الدلالات والمعانى المتسمة بالاستمرار والتجدد .

بما مضى من دلالات في الآيات السابقات يتهيأ السامع لاستقبال قوله تعالى ﴿ والسماء وما بنها﴾، فالفاصلة في (بنها) تحيل بذهن السامع إلى الحاضنة لهذه الظواهر الكونية التي مر ذكرها (الشمس - القمر، النهار - الليل) فهذه المتقابلات فضاؤها (السماء)، ولذا فقد ذهب البقاعي إلى أن (وما بنها) أسلوب تعجبي بقوله : «أي هذا البناء المحكم ركب فيه ما ذكره إشارة إلى ما وراءه مما يعجز الوصف »^(١٥). وقال المشهدی : «وإنما أوثرت (ما) على (من) لإرادة معنى الوصفية : كأنه قيل : والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناها، ولذلك أفرد ذكره»^(١٦)، ومن ملاحظة قول البقاعي أنه وجّه كلامه للتعجب من إحكام خلق السماء، في حين وجّه المشهدی كلامه لعظمة الخالق الذي بنى وسوى، فإذا آمنت بالله وقدرته ؛ اتسم خلقه بكماله وإحكامه عز وجل، فلا عجب عندئذ لأن الخالق هو الله سبحانه.

ولتتم صورة التقابلات في الذهن يأتي ذكر الأرض ليقابل السماء بقوله تعالى ﴿ والأرض وما طحها﴾^٦، يقول السيد الطباطبائي : «(و) في (وما بنها) و(ما طحها) موصولة، والذي بناها وطحها هو الله تعالى والتعبير عنه تعالى بـ(ما) دون (من) لإثارة الابهام المفيد للتفسير والتفسير فالمعنى... أقسم بالأرض والشيء القوي العجيب الذي بسطها»^(١٧)، فالانتقال بالذكر من عوالم الكون والفضاء الخارجي إلى عالم الأرض وما تحوى من مقومات الحياة وتنوع مناخها، لتكون للإنسان والمخلوقات الأرضية مأوىً ومحلًا تتناسب وما كيّفهم الله عز وجل له، ولبيان الألفاظ المقابلة يمكن «رصد مظاهر (التواري) مقطعاً مقطعاً، أو قرينة قرينة إلى أن التوازي الداخلي بين كل قرينتين على حدة كـ(الشمس والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض...) هو توازٍ في التضاد وفي موقع الابتداء»^(١٨)، هذا فضلاً عن التوازي الأسلوبي في سبكها البنائي ؛ إذ ابتدأت بالقسم وانتهت بالفعل مع ضميره المتصل ، فانقسم على وحدتين آخرين ؛ الأولى افتتحت بجملة القسم : أداة القسم والمقسم به، فجملة الشرط : أداة الشرط و فعلها ثم الضمير المتصل (والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها). والأخرى بدأت بجملة القسم : أداة القسم فالمقسم به، ثم جملة معطوفة عليها : أداة العطف ، ثم اسم الموصول (ما) فالفعل ضمير الفعل (ها) : (والسماء وما بنها، والأرض وما طحها، ونفس وما سواها)^(١٩)، ويلاحظ في هذا المحور إيراد السياق في الآيات بالفعل الماضي ، ما عدا فعل واحد جاء بصيغة الفعل المضارع عند ذكر الليل، وسيأتي الحديث عنه في المحور الآخر - إن شاء الله تعالى - في إحالة فعل مضارع آخر.

المحور الآخر: النفس البشرية :

وهنا يستمر النسق القرآني بأسلوب مماثل لما سبق، عند ذكره النفس البشرية، بحيث إن المتلقى لا يشعر بفواصل أو انقطاع أو غرابة، فيستمر في تلقي بيان القرآن الكريم تشده إليه أساليبه ومحكم تنزيله، وقد يظن المتلقى أن ثمة تباين بين المحورين !

إن المشاهد الكونية قائمة على التأثير والتاثير والمركزية والتبعية، والموازين والثبات، ودقة النظام والحساب. فيأتي ذكر النفس البشرية في قوله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَاهَا -٧﴾ بعد ذكر آخر مقطع من مشاهد الكون (والأرض وما طحها) لمحاكاة هذا الترابط الوجودي بين الحال والمحل، فضلاً عن العبرة التي ينبغي له التزود بها ما دام هو في ضيافة هذه الأرض، من حفظ اتزانه، وصلاحه، وسد حاجاته وشهيته وشهواته بما شرع له خالقه عز وجل، فكل شيء عنده بمقدار، وهذا يتأكّد من الفاصلة (وما سواها) «أي وأقسم بنفس والشيء ذي القدرة والعلم والحكمة الذي سواها ورتب خلقتها ونظم أعضاءها وعدل بين قواها. وتنكير (نفس) قيل : للتنكير، وقيل : للتفسير ولا يبعد أن يكون التنكير للإشارة إلى أن لها صفا وأن لها نباً»^(٢٠)، فتبين من ذلك أن هذه النفس غير محصورة بفرد كآدم عليه السلام بل استطاع ليشمل كل نفس عاقلة من ذريته^(٢١)، وقيل : جميع ما خلق الله من الجن والإنس^(٢٢)، أي العقلاة منهم. ولذا جاء قوله تعالى ﴿ فَأَلْهَمَهَا فِجُورًا وَتَقوَهَا -٨﴾ «أي وعرفها الفجور والتقوى، وما يتميز به بين رشدتها وضلالها، قال ابن عباس : بين لها الخير والشر والطاعة والمعصية وعرفها ما تأتي وما تتقي «^(٢٣)، وهذه (الفاء) في (فاللهما) التي تفيد الربط والترتيب^(٢٤) تبين إلهامها معرفة الفجور والتقوى لما أودع فيها من قوى، ومنها القوة العاقلة في (سوها) «فَإِلَهَمَهُمْ هُوَ أَنْ يُؤْقَعَ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ شَيْئًا، وَإِذَا أُوْقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْئًا فَقَدْ أَزْمَمَ إِيَاهُ، وَأَصْلَى مَعْنَى إِلَهَامِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ : لَهُمُ الشَّيْءُ وَالْتَّهُمْ إِذَا ابْتَلَاهُمْ، وَأَلْهَمْتَهُمْ ذَلِكَ الشَّيْءُ أَيْ أَبْلَغْتَهُ، وَهَذَا هُوَ أَصْلُ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِيمَا يَقْدِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، لَأَنَّهُ كَإِبْلَاغٍ»^(٢٥).

وفي مثل هذا البيان الدقيق للفخر الرازي ما يجعلنا مهيبين لتلقي قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مِنْ زَكِّهَا * وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَّهَا -٩-١٠﴾ فقد ترتب هذا القسم المؤكد للفلاح بالتركية، والقسم المؤكد للخيبة لما ينغمس فيها من المعاصي^(٢٦)، بعد ما أثبت نعمة الإلهام لها، لتبيّن دقة النظم القرآني ومحكم النسق في تعبيه وكمال الحجة به وإيراده متوازيا في التضاد (فجورها - وتقوها، أفلح - زكاهما ، خاب - دساهما)^(٢٧).

فكمّا أن للنفس البشرية مثلاً أعلى للفلاح لسلوك طائق الصلاح، فكذلك يورد القرآن الكريم لها مثلاً أدنى للخيبة والخسران لسلوك طائق الفجور والطغيان بقوله تعالى ﴿ كَذَبْتَ ثُمَّ وَدَتْ -

بطغوهاها)^{١١} فالفاصلة (بطغواها) تعيل لسبب اختيار هذا المثال القصصي من دون قصص أقوام الأنبياء السابقين، فقد جاءهم ما يفوق قدرتهم وتحملهم من عذاب يكافئ ما أقدموا عليه بتجاوزهم، قال تعالى ﴿إِذْ أَنْبَعْتُ أَشْقَاهَا﴾^{١٢} إذ تحكي هذه الفاصلة سرّ تقدم ذكر جنائهم قبل عرض أهم مفاصل قصتهم، فأحال فعل عاقر الناقة إلى مجموعهم لرضاهم بعمله وانبعاثه من قبلهم^{١٣}؛ أضمرته القصة الموجزة هنا، فقد كان تحقق المعجزة بخروج الناقة وفصيلها من الجبل بطلبهم، حجة منهم للتصديق برسالة نبيهم (صالح عليه السلام)، وهذا يعد كالعهد المتضمن بين الطرفين في حال تحققتها، ولكنها - أي المعجزة - كما جاءت بطلبهم، تحققت بشروط، إذ قال تعالى ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسَقِيهَا﴾^{١٤} ففي الفاصلة (وسقياها) تحذير من مزاحمتها في شربها، فضلاً عن التحذير قبله من مساسها (ناقة الله) وفي نسبتها إليه عز وجل زيادة في هذا التحذير والترهيب منه^{١٥} وإنما عذاب لا يحيى ولا يذر، فالأحوالات إلى هذه المعاني جاءت في أوجز تعبير وأدق عبارة، إذ «كانت هذه الحالة متصرّفة في نفوسهم، فاقتصر على أن قال لهم (ناقة الله وسقياها) لأن هذه الإشارة كافية مع الأمور المتقدمة التي ذكرناها»^{١٦}.

وفي قوله تعالى ﴿فَكَذَبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمِدِمُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَاهَا﴾^{١٧} فالفاصلة (فسواها) تحيل السامع من لحاظ النسق الفائي في هذه الآية الكريمة (فكذبوه فعقروها فدمدم...فسواها) إلى الدلالة الجزائية المترتبة على اقتراف جريمتهم والجرأة على بارئهم، هذا فضلاً عن الضمير الجمعي الذي حكى عن هذه الجريمة والقاتل فرد واحد، فأخذهم الله بذنبهم (فسواها) فالضمير المؤنث الغائب هنا للدمدمة بإطباقي العذاب عليهم^{١٨}.

وختمت السورة بقوله ﴿وَلَا يَخَافُ عَقِبَهَا﴾^{١٩} لتحكي الفاصلة الختامية حال هذه النهاية مع إمكانية إhaltتها إلى جهات عدة : الأولى : في حال عودة نفي الخوف عن تبة عاقبة القوم بالعذاب إلى الله عز وجل، إذ يرجحه الفخر الرازي بقوله «أنه كنایة عن الرب تعالى إذ هو أقرب المذکورات»^{٢٠}، فإنه أخذ بنظر الاعتبار السياق المتابع في الآيتين الأخيرتين لتناسق الضمير العائد فيها إلى لفظ الجلالة. الثانية : عودة الضمير في (لا يخاف) إلى نبي الله صالح عليه السلام، فإنه موعد بالنصر مكفي شر المكاره، ولا يخفى أن السياق لا يساعد على ذلك.

الثالثة : عودة الضمير في (لا يخاف) إلى عاقر الناقة، إذ تحدى وعيid نبي الله صالح عليه السلام وتجرأ فعقرها لعدم توقيعه بعذاب عاجل ، أو لاستقلاله الجرم الذي اقترفه، حتى سماه الله تعالى (أشقاها)^{٢١}. ويرجح السيد محمد الصدر الرأي الأول في «أن الفاعل هو الله، والمضاف إليه هو الدمدمة»^{٢٢}.

ويظهر في هذا المحور ورود الأفعال الماضية في الآيات، إلا آخرها ورد بصيغة الفعل المضارع، ليقابل المضارع الوارد في المحور الأول (والليل إذا يغشاها) وهنا (ولا يخاف عقباها) وقد يوحي ذلك للسامع باستحضار كنایات العرب لاستعمال لفظ (الليل) عن الظلم أو الهم أو الحزن أو الخوف أو الكفر إلى آخره، قال ابن عاشور^(١) «وابتدئ القسم بالشمس وأضوائها الثلاثة الأصلية لأن الشمس أعظم النيرات التي يصل نور شديد منها للأرض، ولما في حالها وحال أضوائها من الإيماء إلى أنها مثل لظهور الإيمان بعد الكفر وبث التقوى بعد الفجور فإن الكفر والمعاصي تمثل بالظلمة والإيمان والطاعات تمثل بالضياء قال تعالى ﴿ ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه - المائدة ١٦﴾^(٢)؛ وما يسوغ قوله بمراعاة القرآن الكريم ذائقه العرب ووفرة خزينها المعنوی لأنفاظها هذه الإيحاءات التي تجذب ذهن المتلقى عندما تقع مسامعه.

ومن الاستعمال العربي القديم للفظ (الليل) والمقصود به المعنى المجازي له قول امرئ القيس:

ألا أيّها الليل الطويل ألا إنجلي بصبيٍ وما الإصباح منك بأمثل^(٣)

يقول الزوزني في شرحه «وطول الليل ينبع عن مقاساة الأحزان والشدائد، والسرير المتولد منها لأن المغموم يستطيل ليله، والمسرور يستقصر ليله»^(٤).

وفي الشعر الحديث كنى به عن الظلم بقول أبي القاسم الشابي :

ولا بد للليل أن ينجل^(٥) ولا بد للقيد أن ينكسر^(٦)

وواضح من السياق مجيء لفظ الليل هنا كنایة عن الظلم وما ينتجه عنه. وبذا تبرز القيمة النصية لتعادل مجيء الفعل المضارع في المحور الأول مع الليل، وفي المحور الآخر مع عدم الخوف من تبعه إنزال العقاب على الظالمين. وكان الجزاء الإلهي يترصد كل منحرف عن سبيله، على ما يحكى القرآن من سنته بقوله تعالى ﴿ كتب الله لآغلبين أنا ورسلي إن الله قوي عزيز- المجادلة ٢١﴾^(٧).

وتبيّن من تتبع الدلالة الإيحائية للفاصلـة هنا المزيد من التوافق والانسجام الموسيقي فيما بين الآيات من خلال تلك الفواصل، وإن الوحـدة الفنية في السورة قد تكامل بناؤها في الفواصل، و(ها) هنا وإن لم تكن زائدة، فهي دليل على التكامل الفني بين الالفاظ والمعاني فضلاً عن محافظتها على التنغيم الموسيقي للسورة وهو النسق الذي يلتزمـه القرآن في جميع آياته^(٨)، فقد كان لحرف المد أهمية كبيرة في ذلك، وهذا يتفق تمام الاتفاق مع ما كان يميل إليه العرب قديما^(٩).

الهوامش

- ١- ينظر : لسانيات النص ، خطابي ١١٢-١١٣ .
- ٢- ينظر : المحكم والمحيط ، لابن سيدة ٨ / ٣٢٩ ، ولسان العرب مادة (فصل) إذ أشار إلى تعريف ابن سيدة .
- ٣- النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . ٩١ .
- ٤- موسيقى الشعر ١١ .
- ٥- البناء الصوتي في البنيان القرآني ، د. محمد حسن شرشر ٧٤ .
- ٦- النكت في إعجاز القرآن ، للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . ٩٠ .
- ٧- ينظر: سر الفصاحة للخفاجي ٢٠٣ ، والبرهان للزركشي ١ / ٧٣، والإتقان للسيوطى ٢ / ١٠٥ .
- ٨- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ١٤٩ .
- ٩- ينظر : أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم ، بلاغته وأغراضه ١٢ .
- ١٠- في ظلال القرآن ٣٩١٦ .
- ١١- ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ٢٨٦ .
- ١٢- ينظر: البرهان في تفسير القرآن ٥ / ٦٧٠ .
- ١٣- منة المنان في الدفاع عن القرآن ٢ / ١٤٧-١٤٩ .
- ١٤- ينظر : المعين في إعراب الجزء الثلاثين ٢٦٢-٢٦٣ .
- ١٥- نظم الدرر ٨ / ٤٣٩ .
- ١٦- كنز الدائق وبحر الغرائب ١٤ / ٣٣١ .
- ١٧- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ٢٨٦ .
- ١٨- الفاصلة في القرآن ٢٣٤ .
- ١٩- ينظر : المصدر نفسه ٢٣٤-٢٣٥ .
- ٢٠- الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ٢٨٦ .
- ٢١- ينظر : منة المنان في الدفاع عن القرآن ٢ / ١٥٦ .
- ٢٢- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ١٠ / ٢٨٥ ، التفسير الكبير للرازي ١٦ / ١٩٣ .
- ٢٣- صفوة التفاسير للصابوني ٣ / ٥٦٦ .

- ٣٨١/٤ - ينظر : شرح الرضي على الكافية ٣٨١
- ١٩٣/٦ - التفسير الكبير ١٩٣
- ٢٨٨/٢٠ - ينظر : الميزان في تفسير القرآن ٢٨٨
- ٢٣٤ - ينظر : الفاصلة في القرآن ٢٣٤
- ٢٨٨/٢٠ - ينظر : الميزان في تفسير القرآن ٢٨٨
- ١٧٠/٢ - ينظر : منة المنان في الدفاع عن القرآن ١٧٠
- ١٩٦/٦ - التفسير الكبير ١٩٦
- ١٢٠٦ - ينظر : الكشاف ١٢٠٦
- ٢٨٩/٢٠ - التفسير الكبير ١٩٧/١٦ ، الميزان في تفسير القرآن ٢٨٩
- ٢٨٩/٢٠ ، منة المنان في الدفاع عن القرآن ٢٨٩/٢٠ - ينظر : التفسير الكبير ١٩٦/١٦ ، الميزان في تفسير القرآن ٢٨٩
- ١٨٠/٢ - منة المنان في الدفاع عن القرآن ١٨٠
- ٣٦٨/٣٠ - ينظر : التحرير والتنوير ٣٦٨
- ٢٩ - ينظر : المعلقات السبع للزووزني ٢٩
- ٦ - المصدر نفسه ٦
- ٧٠ - ينظر : ديوان أبي القاسم الشابي ٧٠
- ٢١٩-٢٢٠ - ينظر : فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ٢١٩-٢٢٠
- ٢٠٤/٤ - ينظر : الكتاب ٢٠٤

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٧ م.
- أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم، بلاغته وأغراضه، د.سامي عطا حسن، جامعة آل البيت، المفرق - الأردن.
- البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحرياني، تحقيق لجنة من المختصين، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- البناء الصوتي في البنيان القرآني، د. محمد حسن شرشر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة- مصر، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، د.ط، د.ت.
- التفسير الكبير، للفخر الرازي (ت ٦٦٥ هـ)، قدم له الشيخ خليل محبي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمدرضا القمي المهدى (ق ١٢ هـ)، تحقيق: حسين دركاھي، دار الغدير للطباعة والنشر، قم، ط ٤، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ديوان أبي القاسم الشابي، قدم له وشرحه الأستاذ أحمد حسن بسبح ،منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٤، ٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ.
- سر الفصاحة، أبي محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي (٥٤٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، د.ت.
- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي (٦٨٦ هـ) قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بدیع یعقوب، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
- صفوۃ التفاسیر تفسیر للقرآن الكريم، الشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة

- والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط ٩، د.ت.
- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية (رسالة ماجستير)، عبد الكريم محمد حافظ العبيدي، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- الفاصلة في القرآن ،محمد الحسناوي، دار عمار، عمان - الأردن، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة - مصر، ١٩٧٥ م - ١٣٩٥ هـ.
- في ظلال القرآن ،سيد قطب، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط ٣٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- الكتاب، كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠ هـ) شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب ،بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الكشاف: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه : خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. (طبعة حديثة جامعة للأجزاء كلها في مجلد واحد).
- لسان العرب : لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي ،بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩١ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٤٨٥ هـ)، دار المرتضى، بيروت - لبنان ، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة (٤٥٨ هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المعلقات السبع مع الحواشى المفيدة للزوزنى ،قدم له وحققه: د. محمد خير أبو الوفاء، راجعه وصححه: مصطفى قصاص، مكتبة البشرى ،كراتشي - باكستان، ط ١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- المعين في إعراب الجزء الثلاثين ،د. ضرغام كريم الموسوى، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ،دار القرآن الكريم، شعبة البحوث والدراسات القرآنية، مطبعة دار الوارث للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة - العراق ، ط ١، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- منه المنان في الدفاع عن القرآن ،السيد الشهيد محمد الصدر، مطبعة البصائر- دار ومكتبة

البصائر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢ م - ١٤٣٢ هـ.

- موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة - مصر ، ط٢ ، ١٩٥٢ م.

- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٩٨١ م) ، منشورات : دار المجتبى للمطبوعات ، قم - إيران ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبدالرازق غالب المهدى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٧-٢٠٠٦ هـ.